مفهوم الأخلاق

كلمة الأخلاق جمع لكلمة (خُلُق) بضم اللام وقد تُسكن، وهذه الكلمة تُعني الطبع والسجية والمروءة والدين، قال صاحب اللسان: «الخُلق: الطبيعة وجمعها أخلاق، والخَلْق السجية وقال: الخُلق: هو الدين والطبع والسجية، **وحقيقته**: إنه وصف لصورة الإنسان الباطنة وهى نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها».

قال ابن مسكويه في تعريف الأخلاق: «الأخلاق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: **منها**: ما يكون طبيعيًا من أصل المزاج، **ومنها**: ما يكون مستفادًا بالعادة والتدريب»[1].

وقال الغزالي: «الخُلُق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة

---

(1) **انظر**: «تهذيب الأخلاق» (ص:٣١).

إلى فكر ورويـة؛ فـإن كانـت الهيئـة بحيـث تـصدر عنهـا الأفعال الجميلة المحمودة عقلًا وشرعًا سُميتْ تلك الهيئة خُلقًا حسنًا، وإن كان الـصادر الأفعـال القبيحـة سُـميتْ الهيئة التي هي المصدر خلقًا سيئًا»[1].

فكلمـة خلـق تـشمل الأخـلاق الحـسنة والأخـلاق القبيحة، ومن هنا لابد من وصفها إذا أردنا التمييز بيـنهما وقـد وصـفها الله تبـارك وتعـالى عنـدما أثنـى عـلى نبيـه ﷺ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]

والكلمة إذا أُطلقتْ، ولم تُوصفْ أريد بها غالبًا الخلق الحسن، والسلوك الإنـساني لا يكـون خلقًـا إلا إذا صـار طبعًا وجبلة بمعنى: أن يكـون صـفة راسـخة في الـنفس تصدر عنها الأفعال بدون مشقة وتكلف بسهولة ويسر.

---

(1) **انظر**: «إحياء علوم الدين» (٣/ ٥٢).

وقد عرَّف بعض العلماء الأخلاق بأنها (عادة الإرادة) يعنى أن الإرادة إذا اعتادت شيئًا فعادتها هي المسماة بالخلق فإذا اعتادت الإرادة الإعطاء سُميتْ هذه العادة خلق الكرم.

حاجة مجتمعنا إلى الأخلاق الفاضلة

الأخلاق الإسلامية الفاضلة لها أهمية عظمى في حياة المجتمعات فضلًا عن حياة الأفراد سواء بالنسبة للفرد نفسه أو بالنسبة للآخرين.

فأهمية الأخلاق الفاضلة تفوق الحاجة إلى الطعام والشراب، فبها يستطيع الفرد أن يعيش حياته السعيدة الهانئة في الدنيا، ويصير من خلالها إلى حياة أسعد في الآخرة.

وإذا فقد الإنسان مكارم الأخلاق وحسن التعامل مع الآخرين، أصبح عديم الخير والهداية، كثير الشر والضلالة لأجل ذلك كان الإسلام وبعثة النبي ﷺ هدفها الأول مكارم الأخلاق.

قال ﷺ: «**إِنَّما بُعثتُ لأُتمم مَكارمَ الأخلاقِ**»(١).

---

(١) **حديث صحيح**: رواه مالك في «الموطأ» [باب حسن الخلق] (٨)، وأحمد في «المسند» [٢/ ٣٨١].

فالأخلاق الفاضلة هي التي تعطى للإنسان الوقار والهيبة في نفوس الآخرين، وهى التي تُزين الإنسان، وتقوى علاقته بربه - تبارك وتعالى - وتجلب لصاحبها احترام الآخرين.

علاقة الأخلاق بالدين:

الحديث عن الأخلاق هو في الحقيقة حديث عن جوهر الدين الإسلامي فالرسول ﷺ كان حريصًا على غرس الأخلاق الحميدة في نفوس المسلمين.

قال رسول الله ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»(١).

وقد حذَّر رسول الله ﷺ من سوء الخُلق والثرثرة والتفيهق في الكلام، وحبب في حسن الخلق والألفة والتآلف بين الناس.

---

(1) رواه أبو داود في «سننه»، وأحمد في «مسنده» [٢/ ٢٥٠].

قال رسول الله ﷺ: «**أقربُكم مِني مَجلسًا يومَ القيامة أَحسنُكم أَخلاقًا، الموطئونَ أكنافًا، الذين يَألفون ويُألفون، وأَبعدُكم مني مَجلسًا يومَ القيامة الثرثارون المتفيهقون**»(١).

والأخلاق تدخل في جميع تعاملات العبد مع ربه، وتعاملاته مع الناس، أو حتى مع نفسه، فالأخلاق تشترك في جميع أعمال الإنسان سواء كانت ظاهرة أو باطنة وما ارتبط منها بالفكر أو السلوك أو غير ذلك.

منزلة حسن الخلق الفاضل بين العبادات:

الخلق الفاضل من أجلّ أنواع العبادات والقربات التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى وأعظمها، بل هي من أسس الدين وأصوله، فالأخلاق الفاضلة تشمل الصبر والإحسان والحلم والكرم...الخ.

---

(١) **حديث صحيح**: رواه البخاري في «فضائل الصحابة» [٢٧]، وأحمد [٤/ ١٩٣].

والأخلاق الحسنة تدخل ضمن مفهوم العبادة؛ لأنها مما يحبه الله تعالى ويرضاه، وتعتبر الأخلاق الفاضلة من أهم العبادات البدنية التي عظَّم الله تعالى شأنها كالصلاة والصوم.

ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ** »(١).

والأخلاق لها صلة وثيقة بالإيمان الذي هو العقيدة، فمقياس الإيمان هو حسن الخلق، والبعض يظن أنه قد حقق تمام التوحيد، ومحض الإيمان بصلاة وصيام فقط ناسيًا أو متناسيًا دور الأخلاق الفاضلة، وتراه منطويًا على ركام من مساوئ الأخلاق والمعائب والنقائص التي تذهب بإيمانه أو تحرمه من الكمال المستحب كأن يوجد فيه

---

(١) رواه أبو داود في [باب الأدب] (٧)، والترمذي في «البر» (٦٢)، ومالك في «حسن الخلق» (٦)، والنسائي في «الحج» (١٢٦).

صفة الحسد أو الكبر أو الأثرة (الأثرة حب الذات، والأنانية عكسها الإيثار) وسوء الظن وعدم الاعتراف بالخطأ أو أن ينظر لنفسه بعين الكمال ولغيره بعين التنقص والاحتقار... الخ.

حقيقة الدين وجوهره:

يظن البعض أن الدين التزام فقط بالشعائر الدينية الظاهرة، وأنه علاقة بين العبد وبين ربه فقط، ولا شك أنَّ هذا الفهم خاطئ حيث إن الدين يشمل العبادات والشعائر الدينية الظاهرة والباطنة بالإضافة إلى المعاملات والأخلاق مع الآخرين.

فقد ورد في الأثر أن: «**الدين المعاملة**»، فالدين يشمل مع ذلك التعامل بين الناس بعضهم البعض.

يقول ابن رجب: «إن كثيرًا من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق عباده، وكثيرًا ما يغلب

على من يعتني بالقيام بحقوق الله تعالى إهمال حقوق العباد بالكلية أو التقصير فيها والجمع بينهما عزيز جدًا».

وقد حثَّ القرآن الكريم والحديث الشريف على الأخلاق الفاضلة وحسن الخلق مع الناس، فالخلق الحسن أساس الدين وجوهره، وإنما تتفاضل الناس بعضها عن بعض بتمام الأخلاق.

يقول ابن القيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين» وقد أوصى الله - تبارك وتعالى - عباده أن يقولوا الحسنى ويتعاملوا بها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾.

[البقرة: ٨٣]

قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣]

فالواجب على المسلم أن يقول لإخوانه القول الحسن، وألا يسيء إلى أحد، ولا يستهزئ بأحد، ولا يقابل الإساءة بمثلها بل يقدم العفو والإحسان.

قال تعالى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠].

قال تعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وقد حبب الله تعالى الصفح إلى عباده وحث عليه.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [الحجر: ٨٥]

فيجب على المسلم أن يحسب للساعة حسابها، وأن يُقدِّر لها قدرها، فلا يكن حريصًا على القصاص من الآخرين انتقامًا لنفسه، ولا يكن لحوحًا في استيفاء حقه بل عليه أن يصفح الصفح الجميل، وأن ينظر إلى موقفه بين يدي الله يوم القيامة يوم الصاعقة، الذي وصفه الله تبارك وتعالى.

فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾

[عبس: ٣٤-٣٧]

فمن يعفو عن العباد في الدنيا، يعفو الله عنه يوم القيامة، ومَنْ يصفح عن العباد في الدنيا، يصفح الله عنه يوم القيامة، ومَنْ يسامح الناس يسامحه الله، ومَنْ يغفر للآخرين يغفر الله له، ومَنْ يشدد على الخلق شدد الله عليه، ومَنْ ظلم العباد اقتص منه الله يوم القيامة، فالمثل بالمثل والديان هو الله تبارك وتعالى.

ولله در القائل:

وَإِلى دَيــانِ يــومَ الــدينِ نمــضي

وَعنــدَ اللّهِ تَجتمــعُ الخُــصومُ

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بـالإعراض عـن الجاهلين، وعدم مقابلة إساءتهم بمثلها بـل أمـره بـالعفو والـصفح، قـال تعـالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

مكانة الأخلاق في السنة:

ورد عن رسول الله ﷺ كثير من الأحاديث الشريفة التي تَحثُ على الخلق الحسن والأمر به نحو قولـه ﷺ: «وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»(١).

وحث النبـي ﷺ عـلى تجريـد المـسلم مـن الـصفات الـسيئة والفاسـدة ونفيهـا عنـه كقولـه

(١) رواه الترمذي في «البر» (٥٥)، والدارمي (٤٧)، وأحمد (٣/ ٥).

ﷺ : «**لَيسَ المسلمُ بِسبابٍ وَلا لعانٍ وَلا فاحشٍ ولا بَذيءٍ**»(١) وحرص النبي ﷺ على توضيح وبيان منزلة حسن الخلق وفَصَّل عاقبته كقوله ﷺ : «**أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ تَقْوَى الله وَحُسْنُ الْخُلُقِ**»(٢).

وقد حرص رسول الله ﷺ على أن يحبب المسلمين في الأخلاق الفاضلة فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «**إنَّ مِنْ أَحبَكم إليّ وَأَقربَكم مِني مَجلسًا يومَ القيامةِ أَحسنكم أخلاقًا**»(٣).

وقد رغب رسول الله ﷺ المسلمين في التحلي بالأخلاق الكريمة، وحببهم في تحصيلها وكسبها.

---

(1) رواه الترمذي في «البر» (٤٨)، وأحمد (١/ ٤٠٥).

(2) رواه الترمذي في «البر» (٤٨).

(3) رواه البخاري في «صحيحه»، وأحمد (٤/ ١٩٣).

فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «**مَا من شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْـمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ**»(١).

وقد وعد النبي ﷺ صاحب الأخلاق الحسنة ببيت في الجنة فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**»(٢).

والأخلاق الفاضلة ترقى بصاحبها إلى درجة الصائم القائم، ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**»(٣).

فالأخلاق الفاضلة أساس بناء المجتمعات، وجوهر تقدم الأمم، وحسن الخلق هو كمال الإيمان وتمامه ولله در القائل:

---

(1) رواه أحمد (٦/ ٤٤٢)، والترمذي في «البر».

(2) رواه الترمذي في «البر» (٥٨).

(3) رواه أبو داود في [باب الأدب] (٧).

إِنَّمَـا الأمـمُ الأخـلاقُ مَـا بَقيـتْ

فَإِنْ هُم ذَهبتْ أَخلاقُهم ذَهبُوا

فالأمم أساسها الأخلاق الفاضلة وبقائها مرتبط بحسن الخلق، فإن ضاعتْ هذه الأخلاق ذهبتْ الحضارات، وضاعتْ الأمم وهدمتْ المجتمعات، والنبي ﷺ جمع البر في الأخلاق الفاضلة، والبر من فوائده: أنه يُطيل العمر ويزيد الرزق.

قال رسول الله ﷺ «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ**»(١).

وقال ﷺ: «**حسن الخلق وحسن الجوار يُعمران الديار ويزيدان في الأعمار**»(٢).

وقد أوصى النبي ﷺ المسلمين بالتحلي بالأخلاق الفاضلة، والتعامل بها مع جميع المخلوقات حتى مع الحيوانات والإحسان إليها ورحمتها.

---

(1) رواه الترمذي في «البر».

(2) **حديث صحيح**: رواه أحمد في «المسند».

ورد عنه ﷺ أنه قال: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ، فَشَرِبَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنْ الْعَطَشِ ما بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ، فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ الله لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ**» فَقَالُوا يَا رَسولَ الله: أولَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرٌ؟ فَقَالَ: «**فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**»(١).

وقد أوصى النبي ﷺ بالإحسان في قتل الحيوانات عند ذبحها فقال: «**إِنَّ الله كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**»(٢).

---

(1) رواه أبو داود في [باب الجهاد] (٤٤)، ومالك في «الموطأ» [باب صفة النبي] (٣٣)، وأحمد (٢/ ٥١٧).

(2) رواه الترمذي في «الديات» (١٤)، والنسائي في «الضحايا» (٢٢-٢٧).

وورد عنه ﷺ أنه قال: «**حتى الشاة إذا رحمتها رحمك الله**» فالإسلام حرص أن تصل الرحمة إلى جميع المخلوقات، وأمر بحسن التعامل معها فكيف بالرفق والإحسان مع الإنسان؟!!

فإياك أخي الحبيب سوء الخلق، وإياك من مجالسة صديق السوء، وإياك إياك من مساعدة أهل الظلم فيما يضرك في آخرتك فإنك لن تحصل من ذلك إلا الندامة، حين لا ينفع الندم، ولن يحمدك امرؤ ساعدته على الإساءة، ولن يُبالِيَ عند مساعدتك له سوء عاقبتك وفساد مغبتك.

أخي الحبيب إن لم يكن بدٌّ من إغضاب الناس أو إغضاب الله عَزَّ وَجَلَّ ولم يكن لك مندوحة عن منافرة الحق، فأغضب الناس ونافرهم ولا تغضب ربك، ولا تنافر الحق.

الثمار العاجلة للأخلاق الفاضلة:

للأخلاق الفاضلة ثمار دانية عاجلة تترتب عليها وهى:

١- **صاحب الأخلاق الفاضلة:** في نعيم عاجل يعيش في حياته عيشة راضية هانئة مرتاح البال مطمئن النفس لأنه أرضى الله - تبارك وتعالى - خالقه، وكسب بحسن خلقه قلوب الناس وودهم فكان سببًا في أن يحبه الجميع، كما أن صاحب الخلق السيئ يعيش في شقاء دائم ونزاع ظاهري مع الناس وباطني مع نفسه فهو كثير اللوم لها وهو في شقاء مع أقرانه وإخوانه وأولاده وزوجته بسبب سوء أخلاقه، فأخلاقه تُكدِّر عليه حياته، وتُشوش عليه أفكاره، وتبعث عليه الهم والحزن والكآبة.

٢- **كما أن صاحب الأخلاق الفاضلة:** يسلم من شر الناس: لأنه لا يُقابل الإساءة بمثلها، وإنما يُقابلها بالصفح والعفو والتغاضي عنها، وربما قابلها بالإحسان

فيفوز بذلك بحب الآخرين ويأسر قلوب الناس، ويملك معروفهم، ويفوز برضا ربه تبارك وتعالى.

قال تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠].

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ [فصلت: ٣٤]

فالأخلاق الفاضلة: هي السبب الرئيسي في دخول المسلم الجنة، سُئل رسول الله عليه الصلاة والسلام عن أكثر ما يدخل الجنة قال: «**تَقْوَى الله وَحُسْنُ الْخُلُقِ**»(١).

النبي صلى الله عليه وسلم جمع في الحديث الشريف بين تقوى الله تبارك وتعالى وبين حسن الخلق **وسر ذلك:** أن تقوى الله تبارك وتعالى تُصلِّح ما بين العبد وربه، وحسن الخلق

(١) رواه الترمذي في «البر» (٤٨)، وأحمد (١/ ٤٠٥).

يُصلِّح ما بين العبد وبين الناس، فتقوى الله تبارك وتعالى توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته.

٣- صاحب الأخلاق الفاضلة: تخفى عيوبه ولا يُنقب عنها أحد، وإن كان هناك معايب أو سوء أخلاق فإنها تقبح غيرها من المحاسن.

قال الأصمعي: «لما حضرت جدي علي بن أصمع الوفاة جمع بنيه فقال: يا بني عاشروا الناس معاشرة إن غبتم حنوا إليكم، وإن متُّم بكوا عليكم».

فصاحب الأخلاق الفاضلة: محبوب في وجوده، مشتاق إليه في غيابه، مبكي عليه عند مماته.

والناس تلهج ألسنتها بذكره، وذكر فضائله وخلقه، والتاريخ يسطر مآثره والركبان تتحدث عنه.

فحسن الخلق أهم ما يُزين المرء في تعاملاته وهو أهم من الاعتناء بجمال المظهر وحسن المنظر فالجمال الحقيقي الباقي والدائم هو جمال الأخلاق.

فالمجتمع مفتقر إلى الأخلاق الفاضلة المحكومة بشريعة الله تبارك وتعالى، فاحترام الحقوق وسماحة النفس، والتعامل المهذب، وحب العطاء والعفة، والحياء والأمانة والرجوع إلى الحق والرضا به والإيثار والإنصاف والعفو والصدق، أخلاق عظيمة يحتاجها المجتمع ليصبح مجتمعًا ناجحًا، وقد غلب على أخلاق بعض الناس المصالح الشخصية والأنانية، وحب الذات واتباع الهوى وأصبحت الأخلاق بعيدة عن الساحة اليومية لبعض الأفراد مما عمّت به البلوى وانتشر بسببه الفساد.

وقد أصبحت الحياة المادية هي المسيطرة على سلوك الإنسان، وأصبح لها أثر سيئ على أخلاقه وسلوكه وذلك بسبب حب الأموال والمناصب والاغترار بها، والحرص على استيفائها حتى ظن البعض أنه لا يمكن الجمع بين الغنى والجاه والمكاسب المادية، وبين التحلي بالأخلاق والآداب!.

والمصيبة تعظم والخطب يزداد إذا كان سوء الأخلاق واقع بين مسلم ومسلم فمما يدمي القلب أن نجد بعض المسلمين يحملون فظاظة في اللسان، وغلظة في القلب، وحبًا للرياء والسمعة التافهة إلا من رحم ربك وهذا يتنافى مع مبادئ شريعتنا الغراء.

ويعتبر إيذاء الناس باللسان من غيبة ونميمة أو سخرية، واستنقاص لسبب ما كالحالة المادية أو الاجتماعية، دليل على حماقة فاعله وجهله بالقيم الكريمة.

وبعض الناس تتقاطع وتتهاجر بسبب اختلافات تافهة أو لسبب دنيوي أو بسبب الحسد أو اختلاف الرأي غافلًا أو متغافلًا، إن العبادة العظمي عند الله تعالى بعد التوحيد والصلاة هي عبودية القلب التي تتحقق بها سلامته وطهارته من الأدران والغل والحقد والشحناء وغيرها من أمراض القلوب.

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ**»(١).

وصاحب الأخلاق الفاضلة: يلتمس العذر لإخوانه ويعفو عنهم، ويعمل بالقول المأثور: التمس لأخيك سبعين عذرًا فإن لم تجد له عذرًا فقل ربما له عذرٌ لا أعرفه.

قال ابن المبارك رضي الله عنه: «المؤمن طالب عذرَ إخوانه والمنافق طالب عثرانهم».

وصاحب الأخلاق الفاضلة: لا يظن بالناس شرًا، ولا يجعل الظن طريقًا له في الحكم على الآخرين، قال رسول الله ﷺ يُحذِّر من سوء الظن: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**»(٢).

---

(1) رواه البخاري في [باب النكاح] (٤٥)، وفي [باب الأدب] (٥٧)، والترمذي في «سننه»، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٢٧٧).

(2) رواه البخاري في [باب الأدب] (٥٧)، وأحمد (٢/ ٢٤٥)، ومسلم في «البر».

أهمية حسن الخلق مع الأهل

إذا كان حسن الخلق مطلوب مع الأصدقاء والإخوان والناس جميعًا في جميع المعاملات والعلاقات المختلفة إلا إنه أكثر ما يكون أهمية مع الأهل والأولاد فالعاقل يجب أن يستعمل حسن الخلق مع أهله وأولاده من باب أولى فكثير من الناس من نسمع عن حسن خلقه وكرمه وابتسامته، وجميل معاشرته للآخرين ثم يكون عكس ذلك مع أقرب الناس إليه من أهله وأولاده، فأغلب أحواله في البيت تراه مقطب الجبين، ضيق الصدر لا يتحمل الهفوات والأخطاء الصغيرة، والزلات من أهل بيته، فتراه كثير السب والشتم، قليل الألفة والأنس، سيئ المعاملة مع أهل بيته وعشيرته، ينظر إليهم نظرة الانتقاص والاحتقار فلا يُسلِّم عليهم إذا مر بهم، ولا يأنس بوجودهم، وذلك مخالف لهدى النبي ﷺ

حيث قال: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»(١).

وقال ﷺ: «إِنَّ من أَهْلُ الْجَنَّةِ رَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ»(٢).

فصاحب الأخلاق الفاضلة: صادق مخلص، يُعامل الناس بحسن خلقه ودماثة طبعه وعدله، سواء منهم القريب أو البعيد والشريف أو الدنيء، ولمن يُحب ولمن يشنأ «يبغض ويكره» تحقيقًا لأمر الله في قوله. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩].

---

(1) رواه ابن ماجه في «النكاح» (٥٠) والدارمي في «النكاح» (٥٥)، وأبو داود (١١٢).

(2) رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٦٢).

فالإنسان قبل أن يُعامل الخلق يُعامل الخالق ويحكم شريعته، ولا يسير تبعًا لما يمليه عليه هواه، أو ما تعود عليه من العادات السيئة، فلا يكمل للمرء الإنصاف بالأخلاق الفاضلة حتى يتعامل مع جميع الناس بالحسنى في كل شيء وفى جميع الأحوال في العمل، وفي البيت مع الكبير والصغير والرئيس والمرؤوس والشريف والدنئ، وفى السر والعلانية، وفي المنشط والمكره ويتبع الحلم عند الغضب والرضا والعفو عند المقدرة.